

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية - كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الطبيعة في مقدمات القصائد العباسية
في القرنين الثالث والرابع للهجرة
دراسة موضوعية فنية

أطروحة قدمها

محمود سهيل عبد الله

إلى مجلس كلية الآداب - الجامعة المستنصرية
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة
في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

عدنان كريم رجب

٢٠١٢ م

١٤٣٣ هـ

الخاتمة

نكتب هذا العنوان وهو مجافياً للحقيقة العلمية ، إن العلم لا حدود له ، من المهد إلى اللحد ، نهاية مفتوحة إلى آفاق رحبة ، ابتدأت بجذازات صغيرة ، أوصلتنا إلى قناعات يستند إليها البحث من ثوابت ومتغيرات نسجت خيوطه إلى نتائج ، منها ما جاء مغايراً إلى ما توصلنا إليه ، ومنها متفقاً مع ما وصل إليه أصحاب العقول النيرة قبلنا . فأبدعوا فيها ولهم خير الجزاء .

وما دامت العادة أن يسجل الباحث ما توصل إليه من نتائج ، كان لزاماً علينا أن نقدم وصفاً موجزاً ، أملين أن يرضي الخاتمة المفتوحة لهذا الجهد العلمي المتواضع :

لقد انتهى الفصل الأول في دراسته للطبيعة الأرضية إلى أن الشعراء استطاعوا أن يوظفوا ، الأطلال ، والصحراء ، والروضيات ، والزهريات ، والأنهار والغدران والسفن في مقدمات قصائدهم ، وذلك بإحياء عنصر الطبيعة ، بتطويره وتجديده ، ليكون ملائماً لروح العصر العباسي مستفيدين من ذخيرة عقليتهم الثقافية الواسعة ومواهبهم المبدعة الخلاقة ، يسعفهم نشاطهم المتجدد في الترحال والأسفار زادتهم تجارب متعددة ومشاهدات أشبعتهم لنهمة رؤى الطبيعة الخلابة والاستمتاع بمباهجها ، التي استشعروا في أحضانها الموهبة المبدعة ، فأبتكروا صوراً جديدة لموروثهم القديم ، فجعلوا من عناصر الطبيعة الأرضية محركاً لأشجانهم ، فتحوّلت الأطلال والصحراء إلى أزهار ورياضٍ وارفة بعد ريّها بالأمطار ، واكتسبت بحل الطبيعة الخضراء ، فقد درس البحث شعر الروض من زهور ونبات وأشجار وأنهار وجداول ، وكيف صور الشعراء موقفهم من هذه المناظر التي تتعلق بها دالة على انفعالاتهم من ناحية وتصويرها شكلياً من ناحية أخرى ، وقد مثلت مقدماتهم في الطبيعة الأرضية صورة التغير الحضاري الذي أصاب المجتمع العباسي في القرنين الثالث والرابع للهجرة .

أما الفصل الثاني ، فقد تناول دراسة الطبيعة السماوية في مقدمات القصائد، ووقف عند تصوير الشعراء للكواكب والنجوم ، والليل ، والسحاب ، والمطر ، والبرق ، والرعد ، فقد شغلت هذه العناصر أخيلة الشعراء وخواطرهم ، وأصبحت منفذاً

لتصوير ما يعرض لهم من هموم وتذكر ، ومراقبة الماضي في أحضان السهاد ، تحت ظلمة الليل الدامس فيه تكمن هواجسهم الملتاعة ، ذلك الحلم الذي لا ينفك عن حسرة حب وشوق . وقد انتهى إلى البحث أن الشعراء في هذه المرحلة استطاعوا أن يصوروا الطبيعة السماوية في المقدمات تصويراً يعكس موقفهم من الحياة والكون وكيفية ارتباطهم بالمجتمع الذي عاشوا في أحضانه وولعهم بالمظاهر الحضارية التي صاحبت التطور الاجتماعي بالاستفادة من الموروث العربي والثقافات الأجنبية في عصرهم . خلقت منهم نظرة انطلاق وحب الجديد من صور الطبيعة في بنية المقدمة ...

أما الفصل الثالث ، فقد تناول الطبيعة الناطقة (الحيّة) ، الحيوانات الأليفة والحيوانات الوحشية ، والطير . فقد تناولها الشعراء مثلما تناولوا الطبيعة الصامتة في مقدماتهم ، ولم يكن وصفهم للناقة والفرس ، والأسد ، والطير قاصراً ، وهذا ظاهر من المعجم الذي استعمله الشعراء في هذه المرحلة وأضافوا إليه فيما يتعلق بالصورة الشعرية التي تدخل الناقة محوراً من محاورها ، أو بالسفينة تعويضاً عن الناقة ، وكان دافعهم في الاحتذاء بالقديم وإظهار مقدرتهم وبراعتهم ، فقد أسقطوا أوصاف الناقة على السفينة التي اتخذوها وسيلة إلى الممدوح ، مما يدل على مقدرتهم الفنية في تشكيل صورة موحدة من المحسوسات الجامدة والحية، وكذلك الفرس أخذت حيزاً في مقدمة القصيدة فواكبت التطور والانتقال من البداوة والحضارة ، وكذلك الأسد في إسقاط صفاته من شجاعة وقوة على أنفسهم وعلى ممدوحهم . أما الطير فكان قاسمهم المشترك الذي نظموا فيه مقدمات عبرت عما يكونون من أحاسيس تجاه صوته الحزين ، وكان للبيئة في هذين القرنين الأثر البارز في إشراك بعض الحيوانات النادرة من الفيليات والطيور .

وخلص الباب الثاني الذي أفردته للدراسة الفنية ، ففي الفصل الأول لاحظ الباحث إذ امتزجت مقدمة الطبيعة لتشبيه الممدوح بأبرز مناظر الطبيعة لما يمنحه من خير وسعادة في ظل حكمه ، في ربط الأشياء المادية المحسوسة في بيئته من غيث ، وسحاب وبحر بالمظاهر المعنوية من كرم وشجاعة في ممدوحه . كما

استعانوا بالأزهار والورود للتغزل بجمال المرأة ودلالها وجعلوا من ظل الطبيعة الراقية ملاذاً آمناً في تعاطي الخمرة في أحضان الطبيعة الخلّاب .

أما الفصل الثاني في دراسة الصورة الشعرية ومن وسائلها ، التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتضاد ، فقد كانت الصورة الفنية في شعر هذه المرحلة يصور الطبيعة في المقدمة ، وسيلة إثارة أحاسيس وتأمّلات عميقة وموحية بمشاعر إنسانية رائعة ، ولم يكتفوا بل غدت وسيلة أثارت أحاسيس ، وانطلاقة الشاعر في افتتاحية تحمل حقائق التجربة الشعرية التي يصورها في مقدمته ، لما تحمل من دلالات شعورية ووجدانية تؤثر في الجو النفسي للقصيدة بشكل عام .

وخلص الفصل الثالث إلى أن الشعراء استعملوا في معجمهم الشعري الألفاظ والأساليب الرشيقة والسلسة والبعيدة عن التعقيد والابتذال المستمدة من واقعهم الحضاري ، من خلال فهمهم للمعاني وتفصيلها ، والغوص وراء الفكرة .

أما الأوزان والقوافي ، فوجد الباحث أن الشعراء لم يخرجوا على محور الشعر القديمة ، وجاء نادراً في القرن الرابع للهجرة ولاسيما في غرض الطرديات مع التزامهم القافية الموحدة في معظم أشعارهم ، بحسب الجدول الاستقرائي الذي أجريناه .

أما الإيقاع الداخلي لمقدمة الطبيعة ، فقد ربط الشعراء ألوان البديع من جناس وتكرار ، وتصدير ، وتصريح مع مظاهر الحياة الحضارية في المجتمع العباسي ، فأضحت من خلاله مهارة وإبداع الشعراء في صياغة الصورة وعرض معانيهم وأفكارهم ، ولذا كان هذا التنغيم الموسيقي الداخلي في العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الإسماع سيتمتع بها المتلقي عند سماعها وهي تحمل نظم الكلمات الجميلة وبراعة الترتيب .

تلك هي الخطوة اللامنتهية التي حددها الباحث - الطبيعة في مقدمة القصيدة في هذه المرحلة بعد أن ألقينا الضوء على موقف الشعراء وتصويرهم لمشاهدها الخلابة ، معتمدين على وجهات نظر خاصة مستلهمين بدراسات القدماء والمحدثين ، فإن وفقت إلى قليل من الصواب فما توفيقني إلا بالله العليّ القدير . والله من وراء القصد